

إثبات الأناجيل لعبودية المسيح (عليه السلام)

إعداد الدكتوره

بسمة بنت أحمد جستنية

جامعة طيبة – المدينة المنورة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم الدراسات الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿لَّن

﴾ [النساء ١٧٢]، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وخاتمهم، الذي بشر به رسول بني إسرائيل، عيسى بن مريم (عليهما السلام)، وعلى آله وصحبه وسلم وبعد،

فأرسل الله عيسى ين مريم (عليه السلام) إلى بني إسرائيل مصدقا لما بين يديه من التوراة داعيا إلى عبادة الله وحده، فالنبي عيسى (عليه السلام) هو آخر الأنبياء قبل نبينا محمّد (صلى الله عليه وسلم).

وصرح المسيح في العديد من الأناجيل التي يؤمن بها النصارى اليوم بأنه عبد، يعمل بإرادة سيده، ففي إنجيل يوحنا: "**اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ، وَلاَ رَسُولٌ أَعْظَمَ مِنْ مُرْسِلِهِ**" **يوحنا ١٦: ١٣.**

ولكن النصارى انحرفوا عن هذا المفهوم، فزعموا أن عيسى هو الله، وابن الله، وهو أحد الآلهة الثلاثة: الله وعيسى وروح القدس، والتي تُكوّن في مجموعها الله. في عقيدة يصعب فهمها، حيث لا يوجد أي نص على لسان عيسى (عليه السلام) يدّعي فيه الإلوهية، أو أنه طلب من الناس أن يعبدوه.

ويؤمن النصارى أن عيسى صُلِب ليكفِّر عن الخطيئة التي ارتكبها آدم، إذ عصى ربه وأكل من الشجرة، والتي انتقلتْ بطريق الوراثة إلى جميع نسله، وافتداهم المسيح بدمه، ودُفِن، وقام مِن قبره بعد ثلاثة أيام مِن دفنه، وهذا ما يسميه النصارى بالقيامة، ويحتفلون به في عيد يسمى: (عيد القيامة)، وظل بعد ذلك مع حوارييه وتلاميذه وأنصاره أربعين يومًا يعلمهم ويرشدهم، ثم رُفِع إلى

السماء وجلس على يمين أبيه، وأنه سيتولَّى محاسبة الناس يوم القيامة وإدانتهم، ويستدلون على ذلك بنصوص عدة، منها ما ورد في إنجيل يوحنا (٥/٢٦)، وغيره. «كما أن الأب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً؛ لأنه ابن الإنسان».

هذا ما يعتقده النصارى في عيسى (عليه السلام)، وقد اخترت احدى العقائد التي انحرف مفهوم النصارى فيها، بل هى أهم العقائد، وغاية وجود الإنسان، وأساس دعوة الرسل (عليهم السلام)؛ وهي تحقيق العبودية لله تعالى، والتي كان انحراف النصارى في مفهومها على نحو يصعب فهمه وفهم سببه، حيث إن النصوص الواردة في الكتاب المقدس عند النصارى بعهديه القديم والجديد تؤكد تأكيداً لا يقبل الشك مدى انحرافهم في مفهوم عبودية المسيح لله تعالى.

فالمسيح (عليه السلام) لم يقل لتلاميذه أنه إله، بل إنه وحسب الأناجيل كان يؤكد في كل مرة أنه عبد أرسله الله تعالى إلى بني إسرائيل، بالآيات والمعجزات التي يجريها الله على يديه «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هذِهِ الأَقْوَالَ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضًا تَعْلَمُونَ» أعمال ٢٢: ٢.

السؤال الذي يطرح على النصارى: إن كان عيسى ربا فلتبينوا آية واحدة، أو عبارة واحدة من الكتاب المقدس، في أي نسخة من نسخ الكتاب المقدس قال فيها عيسى إنه إله، أو قال اعبدوني؟

لم يقل عيسى في أي منها إنه مساو لله. بل إن الاستماع للوصايا والكلمات المنسوبة لعيسى (عليه السلام) حقيقتها الإسلام والاستسلام والعبودية لله. ولهذا كان الدافع لكتابة هذا البحث في بيان أن الأناجيل أثبتت أن عيسى عبد لله تعالى ورسوله، وأنه بشر حقق العبودية الكاملة لله.

وقد جعلت عنوانه: **إثبات الأناجيل لعبودية المسيح** (عليه السلام) ذلك أن تقرير العبودية من أعظم العقائد، فهي غاية وجود الإنسان، وأساس دعوة الرسل (عليهم السلام)؛ ويتبين منه أن المسيح (عليه السلام) عبد من عبيد الله، وليس إلها ولا ابن إله.

وقد جعلت البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

- تمهيد في التعريف بالمسيح (عليه السلام) حسب الأناجيل.
- **المبحث الأول:** عبودية المسيح (عليه السلام) باعتبار عبادته لله تعالى.
- **المبحث الثاني:** عبودية المسيح (عليه السلام) باعتبار أنه بشر وإنسان.
- **المبحث الثالث:** عبودية المسيح (عليه السلام) باعتبار أنه رسول.
- **المبحث الرابع:** عبودية المسيح (عليه السلام) باعتبار دعواهم صلبه وموته وقيامته من القبر.
- و**خاتمة** في نتائج البحث.

والله أسأل أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله علماً نافعاً وعملاً خالصاً متقبلاً

الملخص العربى

إثبات الأناجيل لعبودية المسيح (عليه السلام)

الحمد لله رب العالمين القائل: {**لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا**}، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وخاتمهم، الذي بشر به رسول بني إسرائيل، عيسى بن مريم (عليهما السلام)، وعلى آله وصحبه وسلم وبعد،

فهذا بحث عنونت له بـ إثبات الأناجيل لعبودية المسيح (عليه السلام) جعلته للحديث عن أهم العقائد التي انحرف مفهوم النصارى فيها، وغاية وجود الإنسان، وأساس دعوة الرسل (عليهم السلام)؛ وهي تحقيق العبودية لله تعالى، والتي كان انحراف النصارى في مفهومها على نحو يصعب فهمه وفهم سببه.

وقد جعلت البحث في تمهيد عرفت فيه بالمسيح (عليه السلام) حسب الأناجيل، وأربعة مباحث: **المبحث الأول:** عبودية المسيح (عليه السلام) باعتبار عبادته لله تعالى، **والمبحث الثاني:** عبودية المسيح (عليه السلام) باعتبار أنه بشر وإنسان. **أما المبحث الثالث:** عبودية المسيح (عليه السلام) باعتبار أنه رسول. وأخيرا: **المبحث الرابع:** عبودية المسيح (عليه السلام) باعتبار دعواهم صلبه وموته وقيامته من القبر.

وقد أثبت من خلال البحث كيف أثبتت الأناجيل بشرية المسيح، بدءا من الحمل به وولادته، وأن المسيح عبد لله، بل بالنواحي العملية من العبادات، كالصلاة والسجود والصيام والدعاء والتضرع إلى الله. بل وبشريته من ناحية نهايته على الأرض، وموته ودفنه وقيامته من قبره. وكل هذه مؤكدات للبشرية والعبودية وإلا فكيف يصلب الإله (سبحانه وتعالى) عما يصفون.

وبينت كيف أثبتت نصوص الأناجيل لعيسى (عليه السلام* أنه رسول مثله في ذلك مثل من سبقه من الرسل، الذين لم يجعلوهم آلهة ولا أبناء للإله وقد انحصرت مطالب المسيح في قوله: «أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ». **والحمد لله أولاً وأخراً.**

Arabic Summary
The Gospels prove of the Christ slavery

Praise be to Allah, who says: "the Christ does not stickle to be a slave to Allah, nor the closes angels. And who will be arrogant and haughty to be a slave to him, he will assemble them all to him".

And peace be upon his prophet Mohammed his family and companions; whom Jesus, son of Maryam, announced.

I gave this research the title, "the Gospels prove of the Christ slavery". I have made it about the main creeds which the Christians misleader, the main target of the humans existence, and the main basis of the prophets call, that is achieving the slavery to Allah, that which the Christians misleader its concept, and we can't understand the causes.

Have made this research in preface where I have defined the Christ, peace be upon him, according to the Gospels, and four chapters: first, the Christ slavery by considering his service to Allah. Second, the Christ slavery by considering his humanity. Third, the Christ slavery by considering he is a prophet.

Fourth, the Christ slavery by considering their claim of his crucifying, death, and rising up from his tomb.

I have proved how the Gospels make sure the Christ humanity; beginning with his pregnancy and birth, and the Christ is a slave to Allah. Also he is a slave by services as the prayer, kneeling down, fasting and calling for Allah. By his humanity, he had his end on earth, died, buried, and rose up from his tomb. All these ensure his humanity and slavery, or how a god be crucified! I have pointed out how the Gospels prove that Jesus is a prophet as who came before him from prophets. They did not make them gods, nor sons of god. The Christ wants only as he says: "to know you the true god only, and Jesus the Christ whom you sent".

Thanks to the Almighty Allah.

تمهيد

التعريف بالمسيح (عليه السلام) حسب الأناجيل

تذكر الأناجيل أن المسيح (يسوع)، كما يسميه النصارى، عاش على الأرض قبل أكثر من ٢٠٠٠ سنة تقريبا.

وعند النصارى أن مريم حملت به بطريقة إعجازية من غير أب، وإن كانت هي وقتها مخطوبة لرجل يقال له يوسف النجار، ولما بلغ المسيح عندهم الثلاثين سنة بدأ الدعوة.

وحسب الكتاب المقدس عندهم كانت رسالته مختصرة في أمرين وهما ما ورد في يوحنا يقول: «وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ». يوحنا وفي (٣/١٧).

وما ورد في مرقص (١٥/١) «جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبِشَارَةِ مَلَكُوتِ اللهِ وَيَقُولُ: «قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ».

كما بين أنه لم يرسل إلا إلى خراف إسرائيل الضالة، ففي متى (٢٤/١٥): «لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ».

إلا أن النصارى فيما بعد غيروا ذلك إلى دعوى أنه أرسل لتقرير بنوته لله وأن الواجب الإيمان بالتثليث الذي يجعل المسيح (عليه السلام) إلها معبودا ضمن الثلاثة الذين هم الأب والابن والروح القدس. «وَنَعْلَمُ أَنَّ ابنَ اللهِ قَدْ جَاءَ وَأَعْطَانَا بَصِيرَةً لِنَعْرِفَ الحَقَّ. وَنَحْنُ فِي الحَقِّ فِي ابنِهِ يَسُوعَ المَسِيحِ. هذَا هُوَ الإِلهُ الحَقُّ والحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» يوحنا ٥: ٢٠، «أَنَا والآبُ وَاحِدٌ» يوحنّا ٣٠/١٠، «اَلَذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ، صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآبِ والآبَ فِيَّ»

وقالوا: إنه إنما نزل ليصلب ويموت ثم يقوم من الموت وأن من آمن به على هذه العقيدة فقد حصل له الخلاص من خطيئة آدم وتحقق له النجاة يوم القيامة، وجعلوا شعارهم الصليب وجعلوا دعوته عامة للبشرية كلها.

وحسب ما ورد في الأناجيل فإن المسيح (عليه السلام) كان يتجول في القرى والمدن الفلسطينية ويدعو بني إسرائيل بضرب الأمثال لهم وكانت مضامين دعوته هي: الدعوة إلى التوبة والإيمان بالله والعمل الصالح.

وقد عاداه اليهود وسعوا إلى قتله وذلك من خلال الحاكم الوثني الروماني، حيث زعموا له أن المسيح لا يقر لقيصر بالولاية ولما بلغوه بمكانه أرسل جنودا وقبضوا عليه فحاكمه ولم يتبين له أنه مجرم ومع ذلك أصر اليهود على قتله مما جعله ينزل عند رغبتهم ويحكم بقتله صلباً، وهو الذي يزعمون أنه تم، ثم بعد الموت قام من قبره.

ففي إنجيل يوحنا: «فحاوَلَ بِيلاطُسُ بَعدَ هذا أنْ يُخليَ سَبيلَهُ، ولكِنَّ اليَهودَ صاحوا: إنْ أخلَيتَ سَبيلَهُ، فما أنتَ مِنْ أصدقاءِ القيصَرِ، لأنَّ مَنْ يَدَّعي المُلْكَ يكونُ عَدُوًّا لِلقيصَرِ فلمَّا سمِعَ بيلاطُسُ هذا الكلامَ أخرَجَ يَسوعَ وجلَسَ على كُرْسِيِّ القَضاءِ في مَوضِعٍ يُسمَّى (البَلاطَ)،... وكانَ ذلِكَ يومَ الجُمعَةِ، يومَ التَّهيئَةِ لِلفِصحِ، والوقتُ نحوَ الظُّهرِ. فقالَ لِليَهودِ: ها هوَ مَلِكُكُم فصاحوا: أُقتُلْهُ! أُقتُلْهُ! اصلِبْهُ! فقالَ لهُم بِيلاطُسُ: أأصلِبُ مَلِكَكُم؟ فأجابَ رُؤساءُ الكَهنَةِ: لا مَلِكَ علَينا إلاَّ القَيصَرُ! فأسلَمَهُ إلَيهِم لِيَصلِبوه». ١٩: ١٢ – ١٦.

وفي إنجيل لوقا يوضح الحالة التي كانت في زعمهم بعد الصلب المزعوم والحديث عن مجموعة من النساء المؤمنات «وجِئنَ عِندَ فَجرِ الأحَدِ إلى القَبرِ وهُنَّ يَحمِلْنَ الطِّيبَ الّذي هَيَّأنَهُ. فوَجَدْنَ الحجَرَ مُدَحرَجًا عَنِ القَبرِ. فدَخَلْنَ، فما وَجَدْنَ جسَدَ الرَّبِّ يَسوعَ. وبَينَما هُنَّ في حَيرَةٍ، ظهَرَ لَهُنَّ رَجُلانِ علَيهِما ثِيابٌ

بَرّاقَةٌ، فارْتَعَبْنَ ونكَّسنَ وجُوهَهُنَّ نحوَ الأرضِ، فقالَ لهُنَّ الرَّجُلانِ: لِماذا تَطلُبْنَ الحَيَّ بَينَ الأمواتِ؟ ما هوَ هُنا، بل قامَ. أُذكُرنَ كلامَهُ لَكُنَّ وهوَ في الجَليلِ، حينَ قالَ: يَجبُ أنْ يُسلَّمَ اَبنُ الإنسانِ إلى أيدي الخاطِئينَ ويُصلَبَ، وفي اليومِ الثّالِثِ يَقومُ. فتَذكَّرنَ كلامَهُ. ورَجَعْنَ مِنَ القَبرِ وأخبَرْنَ التَّلاميذَ الأحَدَ عشَرَ والآخَرينَ كُلَّهُم بِما حدَثَ، وهُنَّ مَريَمُ المَجدَلِّيةُ وحنَّةُ ومَريَمُ أُمُّ يَعقوبَ، وكذلِكَ سائِرُ النِّساءِ اللَّواتي رافَقنَهُنَّ. وظَنَّ الرُسُلُ أنَّهُنَّ واهِماتٌ، فما صَدَّقوهُنَّ. ولكنَّ بُطرُسَ قامَ وأسرَعَ إلى القَبرِ، فلمَّا اَنحَنى رَأى الأكفانَ وحدَها. فرَجَعَ مُتَعَجِّبًا مِمَّا حَدَث». لوقا ٢٤: ١-١٢.

ثم قالوا أنه بعد ذلك التقى بتلاميذه وبقي معهم أربعين يوما ثم ارتفع أمامهم إلى السماء وهم ينظرون[(١)]، هذا مجمل ما ذكره النصارى عن المسيح (عليه السلام).[(٢)]



(١) انظر سقر أعمال الرسل (١/٣-١٠).

(٢) انظر: المسيح في الأناجيل أو الكنيسة والنقد الكتابي الحديث، ف كيزيتش، تعريب الأب ميشال نجم. كتاب الكتروني :http://www.christianlib.com/١١٤٨١.html قصة آلام وصلب وقيامة يسوع المسيح بحسب شهادة الإنجيل.
.https://www.plough.com/ar/topics/faith/bible-studies/the-easter-story

المبحث الأول

عبودية المسيح (عليه السلام) الخاصة لله (عز وجل)

العبودية سمة المخلوقات كلها فكل ما سوى الله (عز وجل) عبد وعبودية كل مخلوق حسب طبيعته، والمسيح (عليه السلام) ليس خارجاً عن هذا العموم بل هو عبد من عبيد الله (عز وجل) يعبد الله (عز وجل) ويصلي له ويسجد ويصوم ويدعو ويعمل كل لوازم العبودية ومقتضياتها ولذا سأستعرض هنا بعض العبادات التي ذكرها النصارى في الأناجيل ومن ذلك:

صلاة المسيح:

ورد في الأناجيل نصوص تؤكد صلاة المسيح وعبادته لله (عز وجل) ومن ذلك ما ورد في إنجيل متى ٤/٨-١١ «ثُمَّ أَخَذَهُ أَيْضًا إِبْلِيسُ إِلَى جَبَل عَال جِدًّا[1]، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا، وَقَالَ لَهُ: «أُعْطِيكَ هذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ

---

(١) هذه القصة وهي أن إبليس أخذ المسيح ليجربه ويمتحنه من غرائب النصوص فكيف يأخذ الشيطان المسيح ليمتحنه هذه من العجائب التي لا يمكن قبولها ولا تصديقها فعلى دعوى النصارى إلوهية المسيح فغاية في الاستحالة، وعلى أن المسيح رسول فإن دعوى أن إبليس العدو اللدود لله والإنسان كما قال صاحب الكنز الجليل في تفسير الإنجيل (٤٣/١) عموماً لا يمكن قول ذلك ومن أي منطلق يتسلط عليه، والأنبياء محفوظون من الشياطين بل من هو أقل من المسيح وهو نبي الله سليمان كان هو المسلط عل الجن ويمتحنهم وليسوا هم الذين يمتحنونه فكيف بالمسيح (عليه السلام) الذي حفظه الله من الشيطان بقوله تعالى عن جدته وقولها: {**فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**} [آل عمران: ٣٦].

لِي». حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ».

فقد صرح المسيح هنا بأنه عبد لله (عز وجل) وأن العبودية لا تصح إلا لله (سبحانه وتعالى) كما صرح بأنه لا يسجد إلا لله (عز وجل) والسجود من أعظم معاني العبودية، لما فيه من الذل والخضوع للمسجود له، فهذا حقيقة من التصريح الواضح في عبودية المسيح وأنه ليس إلها ولا ابن إله. وقد صرح النصارى بأن العبودية لا تجوز إلا لله (عز وجل)، فقال في كنز الجليل في معنى قولهم: «للرب إلهك تسجد إلخ": في هذا القول نهي عن كل أنواع العبادة لغير الله"[1].

ومن صلاة المسيح:

ما جاء في متى ٢٣/١٤: «وَبَعْدَمَا صَرَفَ الْجُمُوعَ صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ مُنْفَرِدًا لِيُصَلِّيَ. وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ كَانَ هُنَاكَ وَحْدَهُ».

ففي هذا النص بيان أن المسيح (عليه السلام) كان يصلي منفردا في الجبل وحده.وهذا دليل واضح على الإخلاص والعبودية لله (عز وجل)، ولم تكن صلاته هنا أمام الجموع حتى يقول قائل إنه كان يعلمهم الصلاة ويريهم إياها. فتمام الإخلاص بين العبد وربه إنما يظهر بالخلوة مع الله (عز وجل) وإقامة الصلاة لوجهه، فلو كان المسيح (عليه السلام) ربا وإلها لما صلى خلوة ومنفردا بعيدا عن الجموع وفي رأس جبل، فمحال أن يكون يصلى لنفسه لو كان كما زعم النصارى إلهاً.

بل إن لوقا في ١٢/٦ قال: «وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ خَرَجَ إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ. وَقَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي الصَّلاَةِ للهِ».

---

(١) الكنز الجليل في تفسير الإنجيل (٤٤/١).

فنص هنا على أن المسيح (ﷺ) أمضى الليل كله في الصلاة لله (ﷻ) في الجبل، وهذا في أول دعوته، والنصارى يزعمون أن ذلك للتعليم[١] وليس في النص ما يدل على ذلك بل نص الإنجيل على أن صلاته كانت لله (ﷻ) فيقولون: «وَقَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ في الصَّلاَةِ للهِ»، فلو كان معلما للصلاة لاختلفت العبارة، واختلف المكان، فليس الجبل والخلوة مكانا للتعليم.

ولم يذكر في النص أنه كان معه أحد والنص السابق في إنجيل متى أنه كان منفرداً، بل إن النص الذي في لوقا يبين أنه دعا تلاميذه بعد ذلك في النهار وأنه نزل في موضع سهل ودعا الجموع هناك. كل هذا يدل على أنه كان في الليل يصلي وحده ومنفردا.

ويؤكد هذا المعنى ما ذكره مرقص بأن المسيح يصلى في الخلوة والإنفراد ففي انجيل مرقص ١/٣٥ «وَفِي الصُّبْحِ بَاكِرًا جِدًّا قَامَ وَخَرَجَ وَمَضَى إِلَى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ، وَكَانَ يُصَلِّي هُنَاكَ».

فهو هنا يصلي في الخلاء منفردا، وهو دليل آخر على تحقيق المسيح (ﷺ) لعبوديته لله (ﷻ)، فمن أراد تعليم الناس لا يختار الخلاء ليصلي، بل يجب عليه أن يكون أمام الجموع ليتعلموا منه طريقة الصلاة عملياً، أو يخاطبهم بذلك، وخلاف ذلك غير معقول.

فلو فرضنا أن ملكا أو قائدا لمجموعة أراد أن يعلم أتباعه الطاعة والانصياع للأوامر، فوضع على كرسيه أو مكتبه تمثالا يصدر له الأوامر، ثم هو يمتثل تلك الأوامر أمام أتباعه، ليعلمهم الطاعة والانقياد، فلو أنه فعل ذلك منفرداً، أو اختار الخلاء الذي لا يراه فيه أحد، ثم أصدر الأوامر لنفسه والتزم بها وانصاع وليس

(١) انظر: شرح الكتاب المقدس العهد الجديد، للقمص ثادرز يعقوب ملطي في تفسير إنجيل لوقا، كتاب الكتروني ST-TAKLA.ORG.

عنده أحد من أتباعه، ليتعلم منه ورآه أحد على تلك الحالة، لحكم عليه بالجنون، لأن فعله هذا غير مبرر ولا مفيد؛ فكذلك تأويل النصارى لصلاة المسيح منفردا في الخلاء تأويل باطل، يعود بالحكم على المسيح بالخلل في عقله.

إذ كيف يصلي لنفسه ويدعو نفسه، فهذا غير معقول ولا مقبول، بل الصحيح أنه كان يصلي لله (عز وجل) تحقيقا للعبودية.

ويؤيد هذا المعنى أنه في أحلك الظروف كان يصلى، فقد قال متى (٢٦: ٣٦-٤٥).

«حِينَئِذٍ جَاءَ مَعَهُمْ يَسُوعُ إِلَى ضَيْعَةٍ يُقَالُ لَهَا جَثْسَيْمَانِي، فَقَالَ لِلتَّلاَمِيذِ: «اجْلِسُوا ههُنَا حَتَّى أَمْضِيَ وَأُصَلِّيَ هُنَاكَ».

«**ثُمَّ جَاءَ إِلَى التَّلاَمِيذِ فَوَجَدَهُمْ نِيَامًا، فَقَالَ لِبُطْرُسَ:** «أَهكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَسْهَرُوا مَعِي سَاعَةً وَاحِدَةً؟ ٤١ اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ. أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ». فَمَضَى أَيْضًا ثَانِيَةً وَصَلَّى... ثُمَّ جَاءَ فَوَجَدَهُمْ أَيْضًا نِيَامًا، إِذْ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ ثَقِيلَةً. ٤٤ فَتَرَكَهُمْ وَمَضَى أَيْضًا وَصَلَّى ثَالِثَةً..... ثُمَّ جَاءَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ لَهُمْ: «نَامُوا الآنَ وَاسْتَرِيحُوا!...!».

كما تكرر نحو ذلك في مرقص ١٤/٣٢ - ٤٠ وجاء فيه: "«وَجَاءُوا إِلَى ضَيْعَةٍ اسْمُهَا جَثْسَيْمَانِي، فَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: «اجْلِسُوا ههُنَا حَتَّى أُصَلِّيَ».ثُمَّ أَخَذَ مَعَهُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا، وَابْتَدَأَ يَدْهَشُ وَيَكْتَئِبُ. ٣٤ فَقَالَ لَهُمْ: «نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ! اُمْكُثُوا هُنَا وَاسْهَرُوا». ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلاً وَخَرَّ عَلَى الأَرْضِ، وَكَانَ يُصَلِّي لِكَيْ تَعْبُرَ عَنْهُ السَّاعَةُ إِنْ أَمْكَنَ........ ثُمَّ جَاءَ وَوَجَدَهُمْ نِيَامًا، فَقَالَ لِبُطْرُسَ: «يَا سِمْعَانُ، أَنْتَ نَائِمٌ! أَمَا قَدَرْتَ أَنْ تَسْهَرَ سَاعَةً وَاحِدَةً؟ ٣٨ اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ. أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ، وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ». ٣٩ وَمَضَى أَيْضًا وَصَلَّى قَائِلاً ذلِكَ الْكَلاَمَ بِعَيْنِهِ».

ونحو ذلك جاء في لوقا ٢٢/٣٩ -٤٦.

«وَخَرَجَ وَمَضَى كَالْعَادَةِ إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ، وَتَبِعَهُ أَيْضًا تَلاَمِيذُهُ. ٤٠ وَلَمَّا صَارَ إِلَى الْمَكَانِ قَالَ لَهُمْ: «صَلُّوا لِكَيْ لاَ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ». ٤١ وَانْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ رَمْيَةِ حَجَرٍ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى........ وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيهِ. وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ، وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ. ثُمَّ قَامَ مِنَ الصَّلاَةِ وَجَاءَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ، فَوَجَدَهُمْ نِيَامًا مِنَ الْحُزْنِ. فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا أَنْتُمْ نِيَامٌ؟ قُومُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ».

فهذه النصوص تؤكد عبوديته لله والتزامه بالصلاة، وأنه كان يلجأ إلى الصلاة في جميع أحواله وخاصة عند الأحوال الصعبة التي كان يمر بها، فلم يكن يترك الصلاة في وقت من الأوقات؛ لأن الصلاة هي المخرج والملاذ في كل ما يلاقيه من أعدائه.

ودعوى النصارى أن صلاته هي للتعليم لا يمكن أن تستقيم مع الحالة الواردة في هذه النصوص فقد كان تلاميذه نياما وهو يصلي منفردا عنهم وكلما جاءهم المسيح (عليه السلام) وجدهم نياما، فعل ذلك ثلاث مرات؛ في كل مرة يجدهم نائمين حتى تعجب من عدم صبرهم هذه السويعات معه حتى كبيرهم سمعان الذي يسمى كبير الحواريين بطرس كان نائما أيضا.

فكيف يمكن مع ذلك إن يقال إنه أراد تعليمهم، فكيف يعلم نائمين؟! والحق الواضح من ذلك كله أنه كان يلتزم لوازم العبودية لربه (عز وجل).

صيام المسيح (عليه السلام):

إن مما يدل على العبودية التزام المسيح بعبادة يحبها الله (عز وجل) وهي الصيام فقد جاء في متى ٢/٢ «فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَخِيرًا».

فهنا صام المسيح (عليه السلام)، والصيام عبودية فكون المسيح يصوم، معنى ذلك أنه عبد وبشر يصوم لخالقه وإلهه، وكونه بعد الصيام يجوع، فهذا دليل آخر على العبودية.

فكل المخلوقات الحية على الأرض يصيبها الجوع بعدم الأكل وهذا من خصائصها.

وقد نص النصارى على هذه الحال التي وقعت للمسيح (عليه السلام) يقول الأنبا بيشوي في تفسير هذا النص: "خرج يسوع بقوة الروح القدس إلى البرية أربعين يومًا في القفر، ولم يأكل أو يشرب طوال هذه المدة، بل كان مع الوحوش وحيدًا.. بعيدًا عن الناس.. بعيدًا عن إعجابهم ومديحهم وإطرائهم.. بلا مؤنس بلا تعزية من البشر.. لا أحد يخدمه أو يقدم له شيئًا من الراحة...."

ثم قال: "كان اتضاع السيد المسيح هو سبب تجاسر الشيطان في أن يتقدم ليجربه، لأنه حينما صام في البرية صار في حالة من الإعياء والتعب الشديد، إذ جاع جوعًا شديدًا –من حيث إنه شابهنا في كل شيء ماخلا الخطية وحدها– فلم يمنع عن جسده التعب والجوع.. ولهذا اعتقد الشيطان إنه من الممكن أن يُجرّب السيد المسيح كإنسان"(١).

فهذا الانبا بيشوي يؤكد صيام المسيح وأن صومه كان متواصلا بدون أكل وشرب.

وسواء قلنا إنه صام في النهار فقط كما هو الصيام المعروف أو صام متواصلا كل تلك المدة فلا يمكن أن يكون ذلك لمجرد تعذيب نفسه وتجويعها ولا

---

(١) مكتبة الكتب المسيحية، المكتبة القبطية الأرثوذكسية كتاب المسيح مشتهى الأجيال: منظور أرثوذكسي (مع حياة وخدمة يسوع) – الأنبا بيشوي، https://st-takla.org/books/anba-bishoy/christ/mountain.html

يفعل ذلك إلا أحمق، وحاشا المسيح من ذلك، ولابد أن يكون صيامه ذلك كان لله (ﷻ) وهو مرادنا بالاستدلال بهذا النص.

وهو يؤكد بقوة عبودية المسيح (عليه السلام) لأن الصيام عبادة خفية سرية بين الله (ﷻ) وعبده لا يمكن أن يطلع عليها أحد، ومن المعلوم أن الصيام عبادة خاصة في دين الله فالمشركون والوثنيون لا يتعبدون بالصيام لمعبوداتهم وإن كانوا قد يتعبدون بالسجود والدعاء والذبح ونحوها لكن الصوم لا يفعلونه فلم يبق هنا بالنسبة للمسيح (عليه السلام) إلا أنه كان يصوم لله (ﷻ) يتقرب بذلك إليه، ولا يمكن النصارى هنا أن يدعوا أنه كان يعلمهم الصيام لأن الصيام كما قلنا عبادة سرية بين الخالق والمخلوق والعابد والمعبود ولا يمكن أن يطلع عليها أحد لذا قال الله (ﷻ) عن الصيام "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به..."(١)

لجوء المسيح إلى الله (ﷻ) ودعاؤه إياه:

من معاني العبودية الحقة لجوء المخلوق إلى الخالق في أحواله كلها، إذ الخالق (سبحانه وتعالى) بيده مقاليد الأمور كلها، وهو القادر وحده على فعل ما يريد وإيصال الخير لعباده ودفع الشر عنهم، لذا كان البشر إذا حزبهم أمر ووقعوا في ورطة يلجؤون إلى الله (ﷻ).

أما المؤمنون فإنهم يلجؤون إلى الله (ﷻ) في كل أحوالهم، والمسيح (عليه السلام) ليس بدعا من ذلك بل هو من عبيد الله الخلص لذا ثبت عنه الدعاء واللجوء إلى الله (ﷻ) في مواطن كثيرة منها ما ورد في يوحنا ١١/٣٨ -٤٣ في قصة الميت الذي أحياه المسيح بإذن الله وفيه ننقل موضع الشاهد:

---

(١) صحيح البخاري رقم (٥٩٢٧) صحيح مسلم (١١٥١).

«فَانْزَعَجَ يَسُوعُ أَيْضًا فِي نَفْسِهِ وَجَاءَ إِلَى الْقَبْرِ، وَكَانَ مَغَارَةً وَقَدْ وُضِعَ عَلَيْهِ حَجَرٌ. قَالَ يَسُوعُ: «ارْفَعُوا الْحَجَرَ!». قَالَتْ لَهُ مَرْثَا، أُخْتُ الْمَيْتِ: «يَاسَيِّدُ، قَدْ أَنْتَنَ لأَنَّ لَهُ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَلَمْ أَقُلْ لَكِ: إِنْ آمَنْتِ تَرَيْنَ مَجْدَ اللهِ؟». فَرَفَعُوا الْحَجَرَ حَيْثُ كَانَ الْمَيْتُ مَوْضُوعًا، وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقُ، وَقَالَ: «أَيُّهَا الآبُ، أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلكِنْ لأَجْلِ هذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ، لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي». وَلَمَّا قَالَ هذَا صَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجًا!» فَخَرَجَ الْمَيْتُ وَيَدَاهُ وَرِجْلاَهُ مَرْبُوطَاتٌ بِأَقْمِطَةٍ، وَوَجْهُهُ مَلْفُوفٌ بِمِنْدِيل. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «حُلُّوهُ وَدَعُوهُ يَذْهَبْ».

فهذا نص يوضح مظاهر عبودية المسيح (عليه السلام) لله (عز وجل) فقد دعاه في حاجته، وتأكيدا لهذه العبودية رفع عينيه نحو السماء، مما يدل على أن ربه وخالقه ومعبوده فوق السماء[1].

فلو كان المسيح ربا أو إله لما احتاج أن يفعل ما يفعله سائر المخلوقين في حال لجوئهم إلى الله (عز وجل) كما أعلن الشكر لله (عز وجل) بعد تحقق الدعاء وإجابته من قبل الله (عز وجل).

ثم صرح بأنه يدعو الله (عز وجل) في كل أحواله وأن اللطيف الخبير الجواد الكريم يستجيب دعاءه في كل أحواله، وأنه إنما أسمعهم ما قال ليعلموا أنه يدعو الله لا غيره، وأن الله هو المستجيب حده وأن المسيح (عليه السلام) لا يعدو أن يكون رسولا منه وعبدا له.

---

(١) تكرر هذا الفعل من المسيح وهو رفع نظره إلى السماء حال الدعاء واللجوء إلى الله (عز وجل) عدة مرات كما في معجزة إشباع الجياع كما في متى (١٩/١٤) "أَمَرَ الْجُمُوعَ أَنْ يَتَّكِئُوا عَلَى الْعُشْبِ. ثُمَّ أَخَذَ الأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَتَيْنِ، وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى الأَرْغِفَةَ لِلتَّلاَمِيذِ) ونحوه في يوحنا (١/١٧).

المبحث الثاني

عبودية المسيح (عليه السلام) باعتبار أنه بشر وإنسان

من يقرأ النصوص الواردة في أناجيل النصارى يجدها صريحة بأن المسيح (عليه السلام) مر بالمراحل التي يعيشها البشر، والتي من خلا لها تقطع بأنه بشر، مثل الولادة والحياة البشرية الطبيعية، مثل سائر البشر فهو يأكل ويشرب ويجوع ويمرض ويتألم وعندهم أنه قتل صلبا وبعث.

وحتى يتضح ذلك فإن المطالعة للأناجيل تدلك على هذه الأحوال صراحة ومن ذلك:

- أنه مولود من امرأة:

إن المخلوقات الحية المعروفة على وجه الأرض لها طريقة للبقاء والتناسل وقد حكم الله (عز وجل) لها بأن تبقى عن طريق التناسل، كما أن كل جنس يتناسل من جنسه أو ينسل جنسه فالخيل يتناسل منها من جنسها، والشاة يتناسل منها من جنسها، والبقر يتناسل منها من جنسها، والإنسان كذلك يتناسل منه من جنسه فلا يلد البشر إلا بشرا، والمسيح (عليه السلام) لم يخرج عن هذه القاعدة الكلية ؛ فهو متناسل من مريم (عليها السلام)، وهي بشر من سلالة البشر، وهذا ما أكدته الأناجيل وما ليس فيه مراء ولا مخالف في ذلك.

ومن النصوص الدالة على ذلك: أن صاحب إنجيل متى بدأ كتابه بذكر نسب المسيح فقال: "كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ"، ثم ساق نسبه من الأعلى إبراهيم (عليه السلام) إلى يوسف رجل مريم التي ولد منها المسيح (عليه السلام) مرورا بسليمان بن داود (عليهما السلام) ففي متى ١٦ «وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ».

وفي إنجيل لوقا ٣/٢٣ ساق نسبه من الأسفل ابتداءً بيوسف إلى الأعلى آدم (عليه السلام) مروراً بناثان بن داوود فمن قوله: «وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً، وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنَ يُوسُفَ، بْنِ هَالِي" ثم في نهايته ٣٨ قال: "بْنِ أَنُوشَ، بْنِ شِيتِ، بْنِ آدَمَ، ابْنِ اللهِ».

وبغض النظر عن الإشكالات المتعلقة بهذا النسب وهي كثيرة، فإن النسب يثبت السلسلة البشرية لهذا المخلوق، وهو عيسى بن مريم (عليه السلام)، وأن هذا النبي الكريم هو سلالة بشرية، وذلك من أقوى مايثبت انه عبد من العبيد، ومخلوق مربوب، ليس ربا ولا إلها، بل هو وسائر البشر من هذه الناحية سواء.

ومما يؤكد بشريته قول متى في ٢/١ «وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ [٢] قَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ».

وهذا نص مؤكد لموضوع الولادة وهي من سمات المخلوقات الحية الحيوانات والإنسان وحتى الحشرات ثم مع التجاوز عن دعوى التنجيم فإن المنصوص عليه هنا أن المنجمين نصوا على أنه مولود من بشر وانه ملك وليس ابن الله ولا هو الله.

وفي لوقا ١/٣٠ –٣٣ «فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ: لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. هذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ».

فهنا قد صرح الملاك بأن مريم ستحبل بذكر، وأنها ستلد ابنا وتسميه يسوع فهو نص غاية في الصراحة في البشرية للمسيح والعبودية، فإنه قد حملت به امرأة وولدته، كما تلد سائر النساء.

وفي بقية النص ٣٤-٣٨ تأكيد لهذا وهو قولهم: فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلاَكِ: «كَيْفَ يَكُونُ هذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً؟» فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لَها: «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ. وَهُوَذَا أَلِيصَابَاتُ نَسِيبَتُكِ هِيَ أَيْضًا حُبْلَى بِابْنٍ فِي شَيْخُوخَتِهَا، وَهذَا هُوَ الشَّهْرُ السَّادِسُ لِتِلْكَ الْمَدْعُوَّةِ عَاقِرًا، لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى اللهِ». فَقَالَتْ مَرْيَمُ: «هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ. فَمَضَى مِنْ عِنْدِهَا الْمَلاَكُ».

فقولهم «فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ» قوله: "المولود" يؤكد أمر بشريته وعبوديته، وأنه سيولد بشرا من بشر وقد نص النصارى على أن كلمة المولود تدل على البشرية فقال في كنز الجليل: عن قول المسيح (عليه السلام) عن يحي (عليه السلام) الذي يسمونه يوحنا كما في متى ١١/١١: «اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ»قال عن قوله: "المولودين من النساء" كلام شائع يراد به الجنس البشري"(١).

ثم أكد النص أن ما حدث لها من ناحية أنها حبلت بولد بدون أب هو داخل في قدرة الله (عز وجل) ومعجزة كما حدث لقريبتها "اليصابات" التي حملت بولد أيضا في شيخوختها من زوجها زكريا (عليه السلام) الذي كان شيخا كبيرا، وذلك في قدرة الله (عز وجل) هين فالله (عز وجل) لا يعجزه شيء.

- النسبة إلى البشر:

جاء في متى ١٣: ٥٥-٥٦ «وَلَمَّا جَاءَ إِلَى وَطَنِهِ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ فِي مَجْمَعِهِمْ حَتَّى بُهِتُوا وَقَالُوا: «مِنْ أَيْنَ لِهذَا هذِهِ الْحِكْمَةُ وَالْقُوَّاتُ؟ أَلَيْسَ هذَا ابْنَ النَّجَّارِ؟ أَلَيْسَتْ أُمُّهُ تُدْعَى مَرْيَمَ، وَإِخْوَتُهُ يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَسِمْعَانَ وَيَهُوذَا؟ أَوَ لَيْسَتْ أَخَوَاتُهُ جَمِيعُهُنَّ عِنْدَنَا؟ فَمِنْ أَيْنَ لِهذَا هذِهِ كُلُّهَا؟»

---

(١) الكنز الجليل في تفسير الانجيل (١/١٧٠).

فهذا نص من الناس الذين يعرفونه من ناحية عائلته التي ينتمي إليها فقالوا عنه "أليس هذا ابن النجار....".

وبغض النظر عن هذا الظن الخاطئ في نسبة الأبوة للنجار فهم نسبوه إلى البشر وجعلوا له أبا وأما وإخوة وأخوات فلو كان الها أو ابن اله لكان المشتهر عند الناس من حاله هذا.

وهذا من أقوى الأدلة على أنهم كانوا يتعاملون معه من منطلق البشرية وليس الألوهية، فلو كان إلها أو ابنا لله تعالى الله لما استغربوا كلامه ولا حكمته، إذ أن الناس لا تستغرب ما يكون في قدرة الله (عز وجل)، وإنما تستغرب مالا يكون من عادة الناس وطاقاتهم حسب أحوالهم، فالحكمة لا تستغرب من عالم معروف بها، وإنما تستغرب من جاهل من العوام، وفخامة الملبس والمركب لا يستغرب من غني أو حاكم أو ملك، وإنما تستغرب من فقير معدم.فكذلك هنا استغربوا أن يكون له هذه الحكمة، وهو ابن فلان وفلانه؛ فهذا دليل أكيد على أنه عندهم بشر وهو عبد من العبيد لله وليس إلهاً وابن إله.

- بشريته باعتبار وصفه لنفسه أنه ابن الإنسان

جاء وصف المسيح (عليه السلام) بأنه ابن الانسان على لسانه في الأناجيل الأربعة ٨٢ مرة[١] ومنها قولهم في إنجيل متى ١١: ١٩«جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، فَيَقُولُونَ: هُوَذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشِرِّيبُ خَمْرٍ، مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ»، فهو يصف نفسه هنا بأنه ابن الإنسان وأنه إنسان يأكل ويشرب.

---

(١) وذلك حسب البحث في الأناجيل من خلال موقع https://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/

وفي إنجيل متى ١٢: ٤٠ يقول أيضا «لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال». فهو يشبه نفسه وما سيحدث له بيونس (عليه السلام) ويونس (عليه السلام) إنسان.

ويقول متى ٢٦: ٤٥: ثُمَّ جَاءَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ لَهُمْ: «نَامُوا الآنَ وَاسْتَرِيحُوا! هُوَذَا السَّاعَةُ قَدِ اقْتَرَبَتْ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي الْخُطَاةِ».

فها هو إلى أخر الدقائق التي بقيت قبل أن يقبض عليه الجنود في زعمهم ليساق للمحاكمة ثم للصلب؛ يصرح لهم أنه ابن الإنسان كيف يمكن أن يقال إن المسيح ليس بشرا وأنه ابن الله وهو إلى آخر لحظاته مع تلاميذه لم يكشف لهم عن هويته الحقيقة في زعمهم وانه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وفي إنجيل مرقس ٨: ٣١ قالوا: «وَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا، وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ، ٣٢ وَقَالَ الْقَوْلَ عَلاَنِيَةً».

وهنا يصرح للناس علانية أنه ابن الإنسان وأنه ستقع عليه الآم وإشكالات مع شيوخ اليهود، وفي إنجيل لوقا ٩: ٥٦ «لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ، بَلْ لِيُخَلِّصَ».

وفي إنجيل لوقا ١٢: ٨ أيضا: «وَأَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَنِ اعْتَرَفَ بِي قُدَّامَ النَّاسِ، يَعْتَرِفُ بِهِ ابْنُ الإِنْسَانِ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ اللهِ».

وفي إنجيل يوحنا ١٢: ٢٣ «وَأَمَّا يَسُوعُ فَأَجَابَهُمَا قِائِلاً: «قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ لِيَتَمَجَّدَ ابْنُ الإِنْسَانِ».

ففي كل هذه النصوص يصرح المسيح أنه ابن الإنسان في ٨٢ مرة في الأناجيل الأربعة بينما وصف " المسيح" ورد في الأربعة الأناجيل مجتمعة ٥٢ مرة

مما يدل على أن المسيح يسعى إلى تكريس هذا الوصف له وهو انه إنسان وابن إنسان وليس إلها ولا ابن إله.

أما وصف ابن الله فلم يرد في الأناجيل الثلاثة المتشابهة متى ومرقص ولوقا سوى ١٩ مرة ليس فيها مرة واحدة من كلام المسيح وإنما وردت من قول الناس عنه أو دعواهم عليه أو من كلام الشياطين عنه، مما يدل دلالة واضحة أن وصف "ابن الله" بدأ إطلاق ذلك عليه في حياته إن صح ما روي في هذه الكتب، وفي عدم إطلاق ذلك على نفسه على خطورته وأهميته وغرابته دليل على عدم صحة هذا الإطلاق وأنه إطلاق مرفوض من المسيح وأنه مبتدع.

أما إنجيل يوحنا فقد ورد فيه وصف ابن الله في ١٥ مرة تقريبا وفيها في ٥ مواضع ينسب الكلام فيه إلى المسيح ولكن هذا غير مستغرب من يوحنا لأنه إنما كتب إنجيله لتقرير هذه الفرية كما قال في (٣١/٢٠) «وَأَمَّا هذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةٌ بِاسْمِهِ».

إن وصف ابن الإنسان هو الصفة الغالبة المستخدمة في الأناجيل وهذا يعني بشريته لزوما، وأنه إطلاق مقصود فيه ترسيخ حقيقة أن المسيح إنسان وبشر، لأنه ليس من عادة الناس أن يطلقوا على أنفسهم هذا الإطلاق لأنه وصف يشترك به عموم البشر فمن قال عن نفسه إنه ابن الإنسان أو قال إنسان لم يميز نفسه بشيء لأن جميع البشر يشتركون معه في هذه الصفة، ونلاحظ أن هذا الوصف لم يرد في العهد القديم كله إلا في أربعة مواضع ليس منها موضع واحد يقصد به شخص معين.

وهنا سؤال مهم: لماذا المسيح وصف نفسه بهذا الوصف في ٨٢ مرة في الأناجيل الأربعة مع أنه لم يصف نفسه بالمسيح إلا في ٥٢ مرة لاشك أن المراد

من ذلك ترسيخ أنه إنسان وابن إنسان وأنه بشر وعبد معبود وخلق لله مخلوق ليس إلها ولا ابن إله.

- بشريته باعتبار الأكل والشرب

إن من خصائص المخلوقات على الأرض الحاجة للأكل والشرب، إذ خلقها الله هكذا محتاجة لذلك. والمسيح (عليه السلام) لأنه بشر، كان محتاجا للطعام والشراب، وقد ذكر ذلك النصارى في أناجيلهم ومن ذلك:

في انجيل متى ٩/٩ –١٣قال: «وَفِيمَا يَسُوعُ مُجْتَازٌ مِنْ هُنَاكَ، رَأَى إِنْسَانًا جَالِسًا عِنْدَ مَكَانِ الْجِبَايَةِ، اسْمُهُ مَتَّى. فَقَالَ لَهُ: «اتْبَعْنِي». فَقَامَ وَتَبِعَهُ. وَبَيْنَمَا هُوَ مُتَّكِئٌ فِي الْبَيْتِ، إِذَا عَشَّارُونَ وَخُطَاةٌ كَثِيرُونَ قَدْ جَاءُوا وَاتَّكَأُوا مَعَ يَسُوعَ وَتَلاَمِيذِهِ. فَلَمَّا نَظَرَ الْفَرِّيسِيُّونَ قَالُوا لِتَلاَمِيذِهِ: «لِمَاذَا يَأْكُلُ مُعَلِّمُكُمْ مَعَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ؟» فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ قَالَ لَهُمْ: «لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيب بَلِ الْمَرْضَى. فَاذْهَبُوا وَتَعَلَّمُوا مَا هُوَ: إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً، لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَارًا بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ».

فالنص هنا صريح في أنهم أكدوا أنه يأكل وعابوا عليه أنه يأكل مع العشارين والخطاة من البشر، ولم ينف ذلك المسيح (عليه السلام) ولم ينكر أنه يأكل، وإنما بين وجه أكله مع العشارين والخطاة بأنهم المرضى الذين يحتاجون للعلاج أما الأصحاء فلا يحتاجون للعلاج لأن دعوته إنما كانت للخطاة وليس للأبرار.

وفي متى ١٨/١١«لأَنَّهُ جَاءَ يُوحَنَّا لاَ يَأْكُلُ وَلاَ يَشْرَبُ، فَيَقُولُونَ: فِيهِ شَيْطَانٌ. جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، فَيَقُولُونَ: هُوَذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشِرِّيبُ خَمْرٍ، مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ».

وفي لوقا ٧/ ٣٤: «لأَنَّهُ جَاءَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ لاَ يَأْكُلُ خُبْزًا وَلاَ يَشْرَبُ خَمْرًا، فَتَقُولُونَ: بِهِ شَيْطَانٌ. جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، فَتَقُولُونَ: هُوَذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشِرِّيبُ خَمْرٍ، مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ.».

فهذان النصان يؤكدان أن المسيح (عليه السلام) كان يأكل ويشرب كبقية البشر وهذا ما أكده شارح الإنجيل، حيث قال في تفسيره للنص عند قولهم عن يحي (عليه السلام): "لا يأكل ولا يشرب":

"أي أنه لم يأكل ولم يشرب كسائر الناس لأنه كان طعامه الجراد والعسل البري "لاَ يَأْكُلُ خُبْزًا وَلاَ يَشْرَبُ خَمْرًا"، لأنه كان نذيرا، فكان لابد أن يمتاز عن سائر الناس بالأكل والشرب فيقولون: أي الكتبة والفريسيون فيه شيطان: أي أنه يشبه الشيطان في اعتزاله سائر الناس وإقامته في البرية، وفي منعه نفسه عن ضروريات الحياة ولذاتها كفعل المجنون الذي ذكر في متى..

ثم قال عن قوله: "ابْنُ الإِنْسَانِ"، أي المسيح "يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ"، أي كسائر الناس بلا قهر للجسد فيقولون: أي الذين لاموا يوحنا على تصرفه لاموا المسيح على خلاف ذلك التصرف، فجاء يوحنا بقساوة العهد القديم فلم يرضهم، وجاء المسيح بلين العهد الجديد فلم يسروا به "أَكُولٌ وَشِرِّيبُ خَمْرٍ"، نسبوا ذلك إليه لا لإفراطه في الأكل والشرب، بل لأنه لم ينكر نفسه في مقتضيات الجسد كيوحنا"[١]

فهذا الشرح فيه تأكيد لهذه الحقيقة، التي هي كالشمس في رائعة النهار التي تثبت بشرية المسيح وأنه عبد من عبيد الله (عليه السلام).

- النوم

في مرقص ٤/ ٣٥-٣٩ ذكر قصة نوم المسيح (عليه السلام) في السفينة فقال: «وقالَ لَهُمْ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ لَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ: «لِنَجْتَزْ إِلَى الْعَبْرِ». فَصَرَفُوا الْجَمْعَ

(١) الكنز الجليل – مرجع سابق ص (١٧٣/١).

وَأَخَذُوهُ كَمَا كَانَ فِي السَّفِينَةِ. وَكَانَتْ مَعَهُ أَيْضًا سُفُنٌ أُخْرَى صَغِيرَةٌ. فَحَدَثَ نَوْءُ رِيحٍ عَظِيمٌ، فَكَانَتِ الأَمْوَاجُ تَضْرِبُ إِلَى السَّفِينَةِ حَتَّى صَارَتْ تَمْتَلِئُ. وَكَانَ هُوَ فِي الْمُؤَخَّرِ عَلَى وِسَادَةٍ نَائِمًا. فَأَيْقَظُوهُ وَقَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، أَمَا يَهُمُّكَ أَنَّنَا نَهْلِكُ؟» فَقَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيحَ، وَقَالَ لِلْبَحْرِ: «اسْكُتْ! اِبْكَمْ!». فَسَكَنَتِ الرِّيحُ وَصَارَ هُدُوءٌ عَظِيمٌ».

وفي لوقا ٨/٢٢-٢٥ «وَفِي أَحَدِ الأَيَّامِ دَخَلَ سَفِينَةً هُوَ وَتَلاَمِيذُهُ، فَقَالَ لَهُمْ: «لِنَعْبُرْ إِلَى عَبْرِ الْبُحَيْرَةِ». فَأَقْلَعُوا. وَفِيمَا هُمْ سَائِرُونَ نَامَ. فَنَزَلَ نَوْءُ رِيحٍ فِي الْبُحَيْرَةِ، وَكَانُوا يَمْتَلِئُونَ مَاءً وَصَارُوا فِي خَطَرٍ. فَتَقَدَّمُوا وَأَيْقَظُوهُ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ، يَا مُعَلِّمُ، إِنَّنَا نَهْلِكُ!». فَقَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيحَ وَتَمَوُّجَ الْمَاءِ، فَانْتَهَيَا وَصَارَ هُدُوٌّ. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «أَيْنَ إِيمَانُكُمْ؟» فَخَافُوا وَتَعَجَّبُوا قَائِلِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ: «مَنْ هُوَ هذَا؟ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ الرِّيَاحَ أَيْضًا وَالْمَاءَ فَتُطِيعُهُ!».

مظهر آخر وحالة أخرى من خصائص البشرية تحل على المسيح (عليه السلام)، وهي النوم ففي هذا النص في الإنجيلين تأكيد لنومه في السفينة، وأنه رغم الرياح التي بدأت تعصف بها لم يستيقظ حتى جاءوه وأيقظوه منبهين له على خطورة الحال.

فهذه حال من الأحوال التي تؤكد أنهم كانوا يتعاملون معه على أنه بشر مخلوق، وإن كان النص في سياق عرض المعجزات التي كانت منه، ووقوع المعجزات من الأنبياء لا يتعارض مع البشرية، فتلك حالة أخرى وقعت لكثير من الأنبياء، ولم يقل أحد عنهم إنهم آلهة بسبب ذلك، بل عرف منها صدقهم في دعوى النبوة، وتأكيد إعانة الله لهم وأن لهم خصوصية مع الله (عز وجل)، ولكن ذلك لا يتنافى مع البشرية بحال، بل يفعلها الله لهم وهم قبلها بشر وبعدها بشر، والمسيح من هذه الزمرة المباركة من البشر وليس إلها ولا ابن إله.



المبحث الثالث

عبودية المسيح (عليه السلام) باعتبار أنه رسول

المسيح (عليه السلام) رسول اصطفاه الله (عز وجل)، واختاره رسولا الى بني اسرائيل، وهو واحد من مجموعة كبيرة مباركة من الرسل، الذين تشرفت البشرية باصطفاء الله لهم لأداء هذه المهمة العظيمة، التي هي أشرف المهام وأعظمها أثرا وبركة وخيرا.

وهذا لا يتنافى مع كونهم عبيدا لله، بل هم أكمل العبيد عبودية لله (عز وجل)، وهذا أساس من أسس اصطفائهم بالرسالة التي كلفوا بها. والمسيح (عليه السلام) من أولئك الرسل وهو مع ذلك عبد من عبيد الله الكمل.

وقد ورد عنه نصوصا كثيرة تثبت أنه رسول من الله (عز وجل) فهو بالتالي عبد من عبيد الله ومن النصوص في ذلك:

في متى ١٣/٥٧-٥٨ «فَكَانُوا يَعْثُرُونَ بِهِ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ لَهُمْ: «لَيْسَ نَبِيٌّ بِلاَ كَرَامَةٍ إِلاَّ فِي وَطَنِهِ وَفِي بَيْتِهِ». وَلَمْ يَصْنَعْ هُنَاكَ قُوَّاتٍ كَثِيرَةً لِعَدَمِ إِيمَانِهِمْ».

وفي لوقا ٤/٢٢- ٢٤ «كَانَ الْجَمِيعُ يَشْهَدُونَ لَهُ وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ كَلِمَاتِ النِّعْمَةِ الْخَارِجَةِ مِنْ فَمِهِ، وَيَقُولُونَ: «أَلَيْسَ هذَا ابْنَ يُوسُفَ؟» فَقَالَ لَهُمْ: «عَلَى كُلِّ حَال تَقُولُونَ لِي هذَا الْمَثَلَ: أَيُّهَا الطَّبِيبُ اشْفِ نَفْسَكَ! كَمْ سَمِعْنَا أَنَّهُ جَرَى فِي كَفْرِنَاحُومَ، فَافْعَلْ ذلِكَ هُنَا أَيْضًا فِي وَطَنِكَ» وَقَالَ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ مَقْبُولاً فِي وَطَنِهِ».

فهذه النصوص وغيرها يؤكد المسيح نبوته، والنبوة: أصلها من النبأ والخبر، يأتيهم الخبر ويتلقونه من الله (تعالى)، مثله في هذا مثل من سبقه من الأنبياء، المذكورين في العهد القديم والعهد الجديد اسحق ويعقوب ويوسف (عليهم السلام)، وغيرهم الذين ينصون أنه صار إليهم وحي الله.

ومن تلك النصوص ما جاء في: سفر إرميا (١/١) «كَلاَمُ إِرْمِيَا بْنِ حَلْقِيَّا مِنَ الْكَهَنَةِ الَّذِينَ فِي عَنَاثُوثَ فِي أَرْضِ بَنْيَامِينَ، الَّذِي كَانَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَيْهِ فِي أَيَّامِ يُوشِيَّا بْنِ آمُونَ مَلِكِ يَهُوذَا، فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ عَشْرَةَ مِنْ مُلْكِه».

وفي سفر حزقيال (١/٢٣) «فِي الْخَامِسِ مِنَ الشَّهْرِ، وَهِيَ السَّنَةُ الْخَامِسَةُ مِنْ سَبْيِ يُويَاكِينَ الْمَلِكِ، صَارَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى حِزْقِيَالَ الْكَاهِنِ ابْنِ بُوزِي فِي أَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ عِنْدَ نَهْرِ خَابُورَ. وَكَانَتْ عَلَيْهِ هُنَاكَ يَدُ الرَّبِّ».

وفي سفر يونان (١/١) «وَصَارَ قَوْلُ الرَّبِّ إِلَى يُونَانَ بْنِ أَمِتَّايَ قَائِلاً: قُمِ اذْهَبْ إِلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ وَنَادِ عَلَيْهَا، لأَنَّهُ قَدْ صَعِدَ شَرُّهُمْ أَمَامِي».

وفي سفر زكريا (١/١) «فِي الشَّهْرِ الثَّامِنِ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِدَارِيُوسَ، كَانَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَى زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا بْنِ عِدُّو النَّبِيِّ قَائِلاً».[١]

ولم يذكر في الكتاب المقدس أن أحدا من هؤلاء الأنبياء كان إلها أو ابن إله، وإنما كانوا بشرا، عاشوا وماتوا وهم بشر.

والمسيح (عليه السلام) مثل من سبقه، وليس في أحواله ما يدل على ألوهيته وبنوته، وإنما **هو ممن اصطفاهم الله تعالى كما اصطفى من قبله من الأنبياء.**

وقوله هنا "لَيْسَ نَبِيٌّ مَقْبُولاً فِي وَطَنِهِ": يثبت أن مالقيه من قومه هي من الأحوال التي وقعت وتقع على الأنبياء. فهو هنا يؤكد أن الأنبياء يواجهون بما يكرهون في أوطانهم، ويكذبون، بل ويطردون من أوطانهم.والمسيح (عليه السلام) واجه تلك الحال كمن سبقه من الأنبياء.

وأكد نبوته بقوله أيضا في متى ١٧/٢٠ «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ».

---

(١) هؤلاء المذكورين معدودون عند اليهود والنصارى من الأنبياء أما في الإسلام فلا نعرفهم ولم يرد فيهم لدينا نص يثبت نبوتهم فنحن نتوقف في ذلك ما عدا يونان الذي هو يونس (عليه السلام).

فهو هنا يصرح بأن مهمته هي مهمة الأنبياء وأنه واحد منهم يؤدي المهمة التي أدوها، لكي يكون مقبولا عندهم، فهو لم يأت بما ينقض حتى يرفضوه.

ولو نظرنا إلى ما جاء به الأنبياء من قبل، فكلهم دعوا إلى عبادة الله تعالى وإفراده بالعبادة وعدم الشرك والتوبة والإنابة إليه، وهو جوهر دعوة الأنبياء كلهم. ومن نظر في دعوة المسيح (عليه السلام) يجد أنها في هذه الأطر والمضامين. أما دعوى النصارى أن المسيح معبود مع الله وإله من إله وابن لله، معبود يصلى له فهي الدعوى التي ينقضها ما جاء به الأنبياء كلهم، من إخلاص العبادة لله والبراءة من الشرك.

وفي متى ١٠/٤٠ «مَنْ يَقْبَلُكُمْ يَقْبَلُنِي، وَمَنْ يَقْبَلُنِي يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي».

وفي مرقص ٣٧/٩ «مَنْ قَبِلَ وَاحِدًا مِنْ أَوْلاَدٍ مِثْلَ هذَا بِاسْمِي يَقْبَلُنِي، وَمَنْ قَبِلَنِي فَلَيْسَ يَقْبَلُنِي أَنَا بَلِ الَّذِي أَرْسَلَنِي».

وفي لوقا ١٠/١٦ «اَلَّذِي يَسْمَعُ مِنْكُمْ يَسْمَعُ مِنِّي، وَالَّذِي يُرْذِلُكُمْ يُرْذِلُنِي، وَالَّذِي يُرْذِلُنِي يُرْذِلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي».

وفي يوحنا ١٣/١٦ «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ، وَلاَ رَسُولٌ أَعْظَمَ مِنْ مُرْسِلِهِ».

وفي١٣/٢٠«الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: الَّذِي يَقْبَلُ مَنْ أُرْسِلُهُ يَقْبَلُنِي، وَالَّذِي يَقْبَلُنِي يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي».

وفي ٧/١٤-١٨ «وَلَمَّا كَانَ الْعِيدُ قَدِ انْتَصَفَ، صَعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْهَيْكَلِ، وَكَانَ يُعَلِّمُ. فَتَعَجَّبَ الْيَهُودُ قَائِلِينَ: «كَيْفَ هذَا يَعْرِفُ الْكُتُبَ، وَهُوَ لَمْ يَتَعَلَّمْ؟» أَجَابَهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ: «تَعْلِيمِي لَيْسَ لِي بَلْ لِلَّذِي أَرْسَلَنِي. إِنْ شَاءَ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ مَشِيئَتَهُ يَعْرِفُ التَّعْلِيمَ، هَلْ هُوَ مِنَ اللهِ، أَمْ أَتَكَلَّمُ أَنَا مِنْ نَفْسِي. مَنْ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ يَطْلُبُ مَجْدَ نَفْسِهِ، وَأَمَّا مَنْ يَطْلُبُ مَجْدَ الَّذِي أَرْسَلَهُ فَهُوَ صَادِقٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمٌ».

وفي (٣/١٧) «وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ».

فهذه النصوص وغيرها مما ورد على لسان المسيح تؤكد أنه نبي رسول أرسله الله مثل قوله "أرسلني"، "وَلاَ رَسُولٌ أَعْظَمَ مِنْ مُرْسِلِهِ"، مؤكدا عبوديته والتزامه أنه رسول. فقوله "الذِي يَقْبَلُنِي يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي"، يؤكد أن مهمته محددة بإيصال الرسالة التي اصطفاه الله من أجلها، وأن نجاة الناس وفلاحهم في قبولها. لأن من قبل كلامه فمعنى ذلك أنه قبل كلام الله تعالى. وهذا فيه غاية التأكيد على أن ما يقوله للناس ويطالبهم به هو عين ما يطلبه الله تعالى من الناس ويريده منهم.

ولو رجعنا إلى كل مطالب المسيح من الناس والتي ذكرها النصارى في كتابهم سنجدها صريحة في عبادة الله تعالى والتوبة إليه وإفراده بالعبادة.

وهنا نص صريح بالتطابق بين الأمرين: عبودية الله تعالى وإفراده وحده بالعبادة، ورسالة المسيح وذلك في قوله: "أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ".

فهو هنا يصرح بعبادة الله تعالى وحده، كما يصرح باسمه ولقبه ومهمته. فهو يسوع الملقب بالمسيح المرسل من الله (ﷻ).

فلو كان المسيح (عليه السلام) ليس بشراً، وإلها أو ابن إله كما يزعمون، لما اختار هذه العبارات، التي فيها تأكيد بشريته، وأنه لا يعدو أن يكون واحدا من أنبياء الله ورسله (عليهم السلام).



المبحث الرابع

عبودية المسيح (عليه السلام) باعتبار دعواهم صلبه وموته وقيامته من القبر

الموت من لوازم البشرية ومن بث الله فيه الروح فإنه سيقبضها منه وهذا من العلامات الكبرى للبشرية والمسيح (عليه السلام) قد حكى عنه قومه أنه صلب وقتل وقام من قبره.[(١)]

وذلك ينفي عنه تماما الإلوهية والبنوة المزعومة ويثبت البشرية ومن النصوص الدالة على ذلك قولهم في انجيل متى: ٢١ «مِنْ ذلِكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلاَمِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ».

فهم هنا زعموا أن المسيح قال لهم أنه سيقتل وفي اليوم الثالث يقوم وفي هذا تأكيد لبشريته لأن الإله لا يموت فالموت من خصائص المخلوقين.

كما وأكدوا كيفية موته بعد محاكمته فقالوا في كيفية صلبه وموته، ففي متى ٢٧: ٢٨- ٥٠ «فَأَخَذَ عَسْكَرُ الْوَالِي يَسُوعَ إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ وَجَمَعوا عَلَيْهِ كُلَّ الْكَتِيبَةِ، فَعَرَّوْهُ وَأَلْبَسُوهُ رِدَاءً قِرْمِزِيًّا، وَضَفَرُوا إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَقَصَبَةً فِي يَمِينِهِ. وَكَانُوا يَجْثُونَ قُدَّامَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ قَائِلِينَ: «السَّلاَمُ يَا مَلِكَ

---

(١) هكذا زعم النصارى . انظر تبريرات ذلك عندهم على سبيل المثال: كتاب (إذا كان المسيح إلها فكيف تألم ومات، القس عبد المسيح بسيط. والحق ما حكاه الله (عز وجل) في قوله النساء: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ

الْيَهُودِ!» وَبَصَقُوا عَلَيْهِ، وَأَخَذُوا الْقَصَبَةَ وَضَرَبُوهُ عَلَى رَأْسِهِ. وَبَعْدَ مَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ الرِّدَاءَ وَأَلْبَسُوهُ ثِيَابَهُ،ومَضوَا بهِ للِصدَّلْبِ».

«وَفِيمَا هُمْ خَارِجُونَ وَجَدُوا إِنْسَانًا قَيْرَوَانِيًّا اسْمُهُ سِمْعَانُ، فَسَخَّرُوهُ لِيَحْمِلَ صَلِيبَهُ. وَلَمَّا أَتَوْا إِلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ جُلْجُثَةُ، وَهُوَ الْمُسَمَّى «مَوْضِعَ الْجُمْجُمَةِ» أَعْطَوْهُ خَلاً مَمْزُوجًا بِمَرَارَةٍ لِيَشْرَبَ. وَلَمَّا ذَاقَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَشْرَبَ. وَلَمَّا صَلَبُوهُ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ مُقْتَرِعِينَ عَلَيْهَا، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ: «اقْتَسَمُوا ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي أَلْقَوْا قُرْعَةً». ثُمَّ جَلَسُوا يَحْرُسُونَهُ هُنَاكَ. وَجَعَلُوا فَوْقَ رَأْسِهِ عِلَّتَهُ مَكْتُوبَةً: «هذَا هُوَ يَسُوعُ مَلِكُ الْيَهُودِ». حِينَئِذٍ صلُبَ معَهَ ُلصِدَّانِ، وَاحِدٌ عَنِ الْيَمِينِ وَوَاحِدٌ عَنِ الْيَسَارِ».

ثم قالوا: «ومِنَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ. وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ فَقَوْمٌ مِنَ الْوَاقِفِينَ هُنَاكَ لَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: «إِنَّهُ يُنَادِي إِيلِيَّا». وَلِلْوَقْتِ رَكَضَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَأَخَذَ إِسْفِنْجَةً وَمَلأَهَا خَلاً وَجَعَلَهَا عَلَى قَصَبَةٍ وَسَقَاهُ. وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَقَالُوا: «اتْرُكْ لِنَرَى هَلْ يَأْتِي إِيلِيَّا يُخَلِّصُهُ!». فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ».

فهذا النص صريح في أن المسيح قد ذاق ما يذوقه البشر من الأذى والألم والصراخ والاستغاثة ثم أسلم الروح.

وهذه أمور تكون من البشر فكيف يقبل أن يكون إلها يتعرض لما يتعرض له البشر بل هي مؤكدات على بشريته وعبوديته لله (ﷻ).

ويكمل النصارى ما حدث للمسيح بعد الصلب وإسلام الروح ومن ثم الدفن، وزعموا بعدها أنه قام من القبر، حيث جاءوا إلى القبر، وفتحوه ووجدوا الأكفان بدون الجسد فقالوا قام من قبره وفي هذا يقولون:

متى ٢٨/١- ١٠ «وَبَعْدَ السَّبْتِ، عِنْدَ فَجْرِ أَوَّلِ الأُسْبُوعِ، جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الأُخْرَى لِتَنْظُرَا الْقَبْرَ. وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ، لأَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ

نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنِ الْبَابِ، وَجَلَسَ عَلَيْهِ. وَكَانَ مَنْظَرُهُ كَالْبَرْقِ، وَلِبَاسُهُ أَبْيَضَ كَالثَّلْجِ. فَمِنْ خَوْفِهِ ارْتَعَدَ الْحُرَّاسُ وَصَارُوا كَأَمْوَاتٍ. فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لِلْمَرْأَتَيْنِ: «لاَ تَخَافَا أَنْتُمَا، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمَا تَطْلُبَانِ يَسُوعَ الْمَصْلُوبَ. لَيْسَ هُوَ ههُنَا، لأَنَّهُ قَامَ كَمَا قَالَ! هَلُمَّا انْظُرَا الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ الرَّبُّ مُضْطَجِعًا فِيهِ. وَاذْهَبَا سَرِيعًا قُولاَ لِتَلاَمِيذِهِ: إِنَّهُ قَدْ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ. هَا هُوَ يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ. هُنَاكَ تَرَوْنَهُ. هَا أَنَا قَدْ قُلْتُ لَكُمَا». فَخَرَجَتَا سَرِيعًا مِنَ الْقَبْرِ بِخَوْفٍ وَفَرَحٍ عَظِيمٍ، رَاكِضَتَيْنِ لِتُخْبِرَا تَلاَمِيذَهُ. وَفِيمَا هُمَا مُنْطَلِقَتَانِ لِتُخْبِرَا تَلاَمِيذَهُ إِذَا يَسُوعُ لاَقَاهُمَا وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكُمَا». فَتَقَدَّمَتَا وَأَمْسَكَتَا بِقَدَمَيْهِ وَسَجَدَتَا لَهُ. فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: «لاَ تَخَافَا. اِذْهَبَا قُولاَ لإِخْوَتِي أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الْجَلِيلِ، وَهُنَاكَ يَرَوْنَنِي».

وليس المقام هنا مقام مناقشة النصارى في دعواهم مايتعلق بالقيامة ومفهومها عندهم، وإنما هذه الحادثة فيها برهان آخر على بشرية المسيح (عليه السلام) وهي تنقض دعواهم في ألوهية المسيح (عليه السلام)، فليست القيامة دليل على الألوهية، بل هي دليل مؤكد على البشرية، لأن الميت قد فقد كل الطاقة والقدرة، فلابد أن يكون إحياؤه وبعثه من قبل غيره كما فعل المسيح مع الرجل الذي أقامه من قبره.

فكذلك المسيح هنا إذا فرضنا أنه مات وقام من قبره كما زعم النصارى، فذلك إنما فعل به ذلك هو الله (عز وجل)، ولم يفعل ذلك بنفسه، وهو في هذا مثل غيره من البشر الذين يموتون ثم يبعثهم الله يوم القيامة.

وكون المسيح في زعمهم بعث في الدنيا فلا يدل ذلك على ألوهيته، بل يدل على بشريته وعبوديته لله (عز وجل). فإن قيامة الميت ليست إلا دليلا على البشرية، وليست على الألوهية، وإلا لزم كون كل من مات وقام من الموت سواء في الدنيا أو في الآخرة أن يكون إلها، إذ لافرق بينهما في حقيقة الموت والبعث، وأن الموت مؤكد للبشرية والبعث مؤكد للبشرية والعبودية والافتقار الكامل لله (عز وجل).



الخَاتِمَة """

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وبعد، فقد توصلت بعد بحثي هذا إلى تأكيد حقائق مهمة أعرضها في خاتمة بحثي على النحو التالي:

أثبتت الأناجيل بشرية المسيح، فقد ذكروا الحمل به وولادته من أمه مريم ونصوا على نسبه نسبا بشريا وأكدوا هذه الولادة بعدة نصوص ذكروا فيها أنه مولود، وكل مولود من البشر فهو بشر يقينا، كما أكدوا بشريته بذكر تعاملاته البشرية وحاجاته وأحواله البشرية من الجوع والأكل والشرب والنوم.فكيف ارتقت هذه الأحوال والحاجات البشرية عند النصارى إلى أن ادعوا ألوهيته وبنوته لله فهل الله يولد وينام ويجوع ويحتاج للطعام ويأكل؟! كل ذلك لايعرف إلا للمخلوقين.

إذا نظرنا في الأناجيل نجد أنها قررت أن المسيح عبد لله بكل وضوح، بل بالنواحي العملية من العبادات، كالصلاة: «اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ».فقد صرح المسيح هنا بأنه عبد لله وأن العبودية لا تصح إلا لله (سبحانه وتعالى) كما صرح بأنه لا يسجد إلا لله والسجود من أعظم معاني العبودية.

ومثلها الصيام والدعاء والتضرع إلى الله واللجوء إليه في حال الاضطرار والحاجة وليس هناك شيئ يدل على العبودية مثل هذه الأفعال. فمن أين أتى النصارى بإلوهية المسيح (عليه السلام)؟.

أثبتت نصوص الأناجيل لعيسى (عليه السلام) أنه رسول مثله في ذلك مثل من سبقه من الرسل، الذين لم يجعلوهم آلهة ولا أبناء للإله وقد انحصرت مطالب المسيح في قوله: «أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ».

فهو هنا صرح بعبادة الله تعالى وحده، كما يصرح باسمه ولقبه ومهمته. فهو يسوع الملقب بالمسيح المرسل من الله (عز وجل). فلو كان المسيح (عليه السلام) ليس بشرا،

وإلها أو ابن إله كما يزعمون، لما اختار هذه العبارات، التي فيها تأكيد بشريته، وأنه لا يعدو أن يكون واحدا من أنبياء الله ورسله (عليهم السلام).

أثبتت الأناجيل عبودية المسيح وبشريته من ناحية نهايته على الأرض، فقد زعموا صلبه وموته ودفنه وقيامته من قبره.وكل هذه مؤكدات للبشرية والعبودية وإلا فكيف يصلب الإله وكيف يموت الإله وكيف يقبر الإله، (سبحانه وتعالى) عما يصفون. وأصعب من ذلك إذا مات الإله فمن الذي سيبعثه تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا.

دعوى النصارى إلوهية المسيح لا دليل عليها من وحي الله ولا من تاريخ الرسالات السماوية، وإنما لها اقتباس وتشابه مع دعاوى الوثنيين، الذين ألهوا البشر ونسبوا منهم أفرادا إلى الله (عز وجل) بنين وبنات تعالى الله عما يصفون.

والحمد لله أولا وأخراً، ﴿...ٱلَّذِى

... ﴾الأعراف ٤٣.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم



المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الأحاديث الشريفة.

ثالثاً: المراجع باللغة العربية:

١. صحيح البخاري. محمد بن إسماعيل. دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي). ط٢ ١٤٠٢هـ.

٢. صحيح مسلم. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت. دار إحياء التراث العربي.

٣. إذا كان المسيح إلها فكيف تألم ومات. عبد المسيح بسيط. ط٢. القاهرة. طبعة المصريين. ١٩٩٤م.

٤. شرح الكتاب المقدس العهد الجديد. القمص ثادرز يعقوب ملطي في تفسير إنجيل لوقا. كتاب الكتروني ST-TAKLA.ORG.

٥. قصة الحضارة حياة اليونان. ول ديورانت. ترجمة محمد بدران. بيروت. دار الجيل.

٦. قصة آلام وصلب وقيامة يسوع المسيح بحسب شهادة الإنجيل.

٧. الكتاب المقدس. الطبعة البروتستانتية. دار الكتاب المقدس. القاهرة. ١٩٨٣م.

٨. الكتاب المقدس. الطبعة الأرثوذكسية. بدون بيانات نشر.

٩. الكنز الجليل في تفسير الانجيل. وليم ادي. مجمع الكنائس. الشرق الأدنى.

١٠. المسيح في الأناجيل أو الكنيسة والنقد الكتابي الحديث، ف كيزيتش، تعريب الأب ميشال نجم.منشورات النور ترجم هذا الكتاب عن الأصل الانجليزي:

١١. هيراقليطس فيلسوف التغير وأثره في الفكر الفلسفي. علي سامي النشار وآخرون. القاهرة. دار المعارف. ١٩٦٩م.

رابعاً: المراجع باللغة الأجنبية:

١٢. The Gospel Image Christ. The Church and. Modern Criticism. Veselin Kesich

خامساً: مواقع الإنترنت:

١٣. https://www.plough.com/ar/topics/faith/bible-studies/the-easter-story.

١٤. مكتبة الكتب المسيحية، المكتبة القبطية الأرثوذكسية كتاب المسيح مشتهى الأجيال: منظور أرثوذكسي (مع حياة وخدمة يسوع) – الأنبا بيشوي، https://st-takla.org/books/anba-bishoy/christ/mountain.html

١٥. www.arab-ency.com الموسوعة العربية.



فهرس الموضوعات



